المغامر

في الخارج هزيم الرعد وهزيز الريح.. يسمع صرير الباب وخفق نعال.. فتكـف "أمل" عن عزف قطعة سماوية الألحان على البيان..

أمل من! ماجد! من سمح لك بالدخول؟

ماجد ما أجمل الدفء هنا! ماذا تعزفين؟

أمل لحن الحرية إنه لا يلائم ذوقك: فخير لك أن لا تزعج نفسك بسماعه.

ماجد أهكذا تستقبلين أصدقاءك؟ ما كنت لتعامليني هكذا من قبل.

أمل "بغضب" خير لك أن تخرج من هنا.. أنت شرير مطارد لا يحـق لـك أن تجذب غيرك إلى الهوة التي ترديت فيها.

ماجد شرير! هل تحسبيني لا أفخر بمثل هذا اللقب؟

أمل تفخر به!

ماجد هل فسد عندك ذوق المرأة الفطري وجرفك معه تيار عالم ناسه صـغار، وأخلاقه أخلاق الرعاع حتى تخطئي غريزة الأنثى في الاختيار؟

أمل إنني لم أخطئ الاختيار فحسان هو أفضل من عرفت من الـشباب.. ولـن أغفر لك ما حيت أنك سجنته كما سجنتني وخنقت أنفاسي لصالحك!

ماجد تشترين الليونة بالرجولة الشريرة الظافرة، ولكن لن ألومك فأنت ابنة الجيل المتمدن الواهن الحساس الذي يرى شرا في الصفات الغلابـة المجازفـة، وأما أنا فابن الفطرة القوية الفتية.. إن في نفسي آمالاً لا تحلمين بها آمـال نهضة هذا الشعب.. لست أرى دواء ناجعاً لأدوائه خيراً من أخذه بـالقوة والعنف فهل هذا في عرفك شراً يا فتاتي.

تأملي هذا الكون في فطرته الساذجة وادركي ماذا يحب فاطر هذا الكون.. أنظري إلى نهضات الأمم و اندثارها تسمعين كلمة لا مـرد لهـا "ليمـت الضعيف" فتندثر الجماعات العاجزة وتفنى!..

كسرت فينا سورة التغلب وتكاد تلتهمنا أمم سوانا. من يدفع الخطر ويحمي الديار؟ أتراها الصفات الواهنة الجبانة المترددة التي يتصف بها جيل عرف

القهر والضيم فثام حده وتلفت فيه صفات الشجاعة والمغـامرة والإقـدام. وددت لو أبدل هذه الأمة وأقودها إلى سؤددها وعزتها.. لم يفهمني أحـد.. لم يحن الوقت لأحقق أهدافي.. أتباعي المخلصون قليلون، وقليلـون مـن يصلحون ليكونوا أتباعي.. حتى أنت لا تفهميني!

أمل أنا لا أومن بالمغامرين.. ولا الذين يبلغ بهم الغرور ليظنوا أنهم يملكـون الحقيقة وحدهم.. وأن الغاية تبرر الوسيلة ولو أدت للجريمة والخيانة.. ماذا كنت تفعل بهؤلاء الأتباع؟

ماجد كما يفعل كل قائد كتب له النجاح.. إنه يطهر كل من يقف عثرة في سـبيل دعوته، فيوحد الأهداف ويضم إلى نهره كل السويقات المتفرقة، ويـستمر في جريانه المتدفق ناثراً فيضه. فشلت إذ دبت الرحمة إلى قلبي..

أمل أبداً لن أؤمن بأن القوة للسيطرة هي الحكم الفصل.. هذه المبادئ جعلت من العالم جحيماً، ومن حزبكم عصابة خائنة.

ماجد أنت عصية على الإصلاح.. أنثى تريد أن تكون رجلاً ويعجبهـا الرجـل المخنث لتسيطر عليه..

أمل (غاضبة) إنني أكرهك، ولا أسمح لك بكلمة أخرى فمن.. من أنـت؟ لقـد هويت.. وما أنت إلا رجل متهم مطارد، ولو شـئت لأخبـرت الـسلطات عنك.. ولكن أؤمن أن لك حق التفكير كغيرك رغم خطرك.

ماجد (مبتسماً) أجمل ما تكونين وأنت غاضبة.. كم أحب قبضة يديك مهددة.. آه لو كنت من أتباعي لجعلت منك قوة هائلة بعد تشذيب وتهذيب..

أمل (هازئة وقد تلاشى غضبها برغمها) وما هذا التشذيب والتهذيب يا ترى؟

ماجد لن نحدثك عنه الآن فهو صارم قاسي.

أمل لا.. تحدث.. أرجوك.. فقط لأكون على علم بما يدور في عقلك.

ماجد تحبين سماعه؟ هل رأيت كيف أقوى على إثارتك دوماً!

أمل (بعصبية) تكلم!

ماجد ولن تقاطعيني؟

أمل كلا..

ماجد أعيدك إلى البيت تمشين في ركابي وتفعلين ما آمرك به وتـربين أبنـائي حسب تعاليمي) وإذا أهملت أو تغافلت عاقبتك بالسجن أو بالإعدام إن فدح ذنبك فهذا خير لك من الجمعيات السخيفة المطالبة بالمساواة.

أمل آه! أنت حقاً شرير.. وعدو لدود سأحاربك أبداً.. فما..

ماجد كان شرطاً أن لا تقاطعيني!

أمل ألا يكفيكم سجن المرأة ثلاثة عشر قرناً في حصن حصين؟

ماجد ولا إلى الأبد.. يجب أن يبقى الرجال في حماية من خطرها.

أمل ليتحطم من قلبه من زجاج وجبره على الله.. إن النوع لأكرم على الحيـاة من حماية الرجل.. فمنذ حرمت القيم الاجتماعية المرأة مـن الانتخـاب، وخولت للرجل استعبادها وهن الجنس الإنساني وتقهقر. فبسبب الحجـاب نفق سوق الغباء والضعف والقناعة بأبخس العيش.. مات الحافز العظـيم بالنسبة للرجل والمرأة معاً.. خذها مني.. هذا سبب من الأسباب الكثيـرة فيما نقاسي من فقر واستعباد..

ماجد إنني متحرر كما تعلمين ولست أريدك على الحجاب..

أمل أعلم.. ولكنك تريدني على الحجاب العقلي.. تريدني تابعة أمة ذليلة..

ماجد لست أدري كيف أنك على ذكائك قد خدعت في قيم الرجال الحقيقيين. لقـد خلقت لتكوني قربي.. إن النار فيك تلهبني وسـأكون معـك نـدا لعـشرة رجال..

أمل كلا إن بيننا من الاختلاف ما لا يمكن تخطيه.. إنني أحب الحياة وأؤمن أن غايتها ليست مجرد إيجاد إنسان مفترس، وإلا لكانت الحيوانات الـضخمة المفترسة التي انقرضت والتي على وشك الانقراض أحق منه بالبقاء.. لقد عاش الإنسان وأصبح سيد الأرض بفضل تلك الشعلة من العقل التي تميز بها، والتي كانت على مدى الأجيال هرجلة مضحكة تود لـو تنـتظم ولا تدري طريق الانتظام.. إن الظروف ترغمها على البقاء بين براثن القوة.
وإنني أقدس الإنسان، أرى فيه نفحة من تجلي الله فيه شاعراً بنفسه، وأرى له الحق في أن يفكر ويحيا ويخلق من نفسه من هو أعظم منه. أمـا قـادة

الحياة لخلق إنسان أفضل فيجب أن يكونوا فلاسفة وعلماء خيرين، ويجـب أن تكون القوة بيدهم لا بيد إرادة غير واعية..

ماجد هل تمضي حياتنا بما يجب أن يكون.. إن الإنسانية لا تستطيع الحياة بغير مناصبة العداء.. ولو حرم الإنسان عدواً يصارعه لأقام مـن نفـسه هـذا العدو.. لقد ورثنا عن الإنسان الأول ما لا نستطيع التخلص منـه نهائيـاً وخير لنا أن نجد أعداء خارج أنفسنا من أن يكون لنا داخلها.. فحذار حذار يا عزيزتي ولا تغرنك شخصية ملساء.. إن فيها لجبناً كثيراً وأرى في نفس صاحبها لكثرة ما يكبت من رغبة الانتقام حقداً دفيناً. تأملي سفر الحياة وما هو كائن لا ما يجب أن يكون.. ليس في العالم سلام، حتى يمكننا أن نعطل فينا قوى الصراع. والميدان بحاجة إلى الطبيعة الشريرة القاسية في سـبيل الفوز! فمن ليست له أقدام تجتاز به قمم الجبال في خطوة يهـن وتـسحقه الأقدام الجبارة كالنمال..

أنظر إلى الشباب فأراهم لا ينقصهم سوى فكرة لتبعث الدماء نشيطة فتيـة في عروقهم فتدك الأرض تحت أقـدامهم ويـصبحوا هـؤلاء الخطـرين المهابين..

أمل ولم تريدهم هؤلاء الخطرين؟

ماجد ليطهروا الأرض العربية من ضعفها وعناصر هزيمتها فكيف نـستطيع أن نتنفس..

أمل هواء الحرية؟

ماجد بل هواء السيادة.. إن العبيد وحدهم من يفكرون بالحرية ولهذا يطـاردني الخاسرون، أقزام عجاف في ميولهم ورغائبهم، غلبوا بكثـرتهم وأقـاموا مجتمعاً هزيلاً كطباعهم، وغدا من هو مثلي نشوزاً بينهم. حـسروا عنـي بأرجلهم الملتوية فكفوا عن السباق ولم يكفهم أن أبوا بالإجماع الاعتـراف بفضلي وبانتصاري، بل شوهوا هذا الانتصار وأسموه تمرداً على ما وضع التشريع من قوانين، وأقاموا من أنفسهم ممثلين عن القانون للاقتصاص من المتمردين..

هكذا تتكلم الغيرة والحقد طاعنة في الظلام فيصفق لها الـشعب الجاهـل، ولكنني لا أبالي.. لم يفت الأوان بعد.. صوت من أعماق الحياة يدوي فـي أذني "أضرب ولا تخف" فما الإقناع دائماً بالحل الموفق.. إن الشعب ينظر بعينيه أكثر مما يسمع بأذنيه، ويفهم النتائج ولا يبالي بالمقدمات.

أمل ألا تؤمن بالشعب؟ الشعب وحده من يجب أن ينتخب، وستبقى وحيـداً مـا دمت لا تبالي بكسب ثقته.. تصفده بالأغلال وتخنق حريته.

ماجد كلا يا عزيزتي، هذا جهد ضائع فقليلا ما يعرف الشعب ما هـو عظـيم.. وقليلا ما يميز الفاعلية الخلاقة عن روح الممثلين.. إن الـصوت المـدوي يحثني "أضرب ولا تخف"، ولتكن ضربتك حاسمة لمن يقفون بينك وبـين مجد الأمة.. ماذا أفعل بالشعب؟ لا أثق بالمجد الذي يـأتي بـه الـشارع والغوغاء.. المجد يأتي به الواعون المخلصون المدركون لمصلحة بلـدهم، لا لمن يشرى صوته بخمس وعشرين ليرة.

أمل يتهمك خصومك بأنك تسعى وراء دولارات أميركا,

ماجد ليتهمني خصومي بما يشاؤون.. لن يفيقوا من نومهم العميق إلا بزلـزال.. حين أبلغ طموحي سأضرب أحلامهم الزائفة، ولن تأخذني بهم رحمة.. لا يرون حقيقتهم مجردة واهنة، بادية العظام، مشرفة بين الأمـم. سـأجعلهم يسعون ليكتسبوا بالقوة قبل أن تدركهم يد الفناء الفتاكة.. أريـد أن يـسير شباب بلادي والدماء تغلي في شراييهم، وعيونهم شرراً مصوباً نحو هدفهم. هذه هي قسوتي، رحمة مقنعة.. أسيء فهمي وعادني حتى من أحببت لهم الخلاص والعزة والكرامة والتفوا حول المهرجين.. من بـدلوا بالبـصيرة الواعية، ألف وجه وألف لسان يمغنطون بها الجماهير الـساذجة المبـتلاة بصنوف الجهالة.. التفوا حول الأدعياء.. وبقيت ماردأ أعزل أمام حاشـية حافلة بالناقمين.. ولكنني لن أهزم!

أمل أكلّ الناس أغبياء؟ وأنت وحدك الفطن الحكيم؟ أحذرك! الكفـر بالـشعب ومصلحته يقود الإنسان لاقتراف الجرائم..

ماجد أعلم أنني وحيد إلاّ من أتباع قلائل مخلصين أعتمد عليهم.. إن مائة مـنهم تكفي لأغراضي.

أمل تكفي لعمل انقلابي جديد، تغير الوجوه ولكنها لا تكفي لتغيير المجتمع إلى الأصلح.. جربنا أمثالك من المغامرين.. ألم تعتبر بعد؟

ماجد أعرف طريقي جيداً.. إن انتصرت فأنا بطل الشعب وان هزمت فأنا مجرم شرير..

أمل ما أتعس هذا البلد الذي جعله المغامرون أمثالك حقل تجارب! هل تتـسلى بمصائر الناس؟ تجلس في الظلام لتصطاد من يعترض طريقك.. أعمـاك الحقد.. لقد قال الشعب فيك كلمته.. فإلى متى أنت باق هنا؟

ماجد سأغادر البلاد، ولكن هذا لن يحول بيني وبينك.. ثقي أنني سأعود إليها عن قريب.

أمل إلى أين؟

ماجد هذا سر لا يجوز لأحد أن يطلع عليه.. لن تكوني حياتي اسـتقراراً فلـن أطلب منك أن تتبعيني، ولا أريد منك إلا أن تعديني بعدم الزواج منه..

أمل إنك تعرف رأيي فلا حاجة بك للإلحاح.

ماجد (بهياج) لا تكوني عنيدة فأنتقم وأبدأ بقتله قبل الجميع وأتعسك مدى الحياة.

أمل إنك لا تتدنى لتصبح مجرماً عادياً.. إنتقم مني إن شئت.

ماجد آه لو أستطيع.. ليتني أستطيع.. كل جارحة في تتمنى الموت لعلي أرتاح.. هاهو ذا مسدسي من ينقذك مني لو شئت؟ لا ترتعدي!.

أمل (بغضب) كذبت أتمنى الموت على أن تظن بأنني أخشاك هاأنا أمامك إفعل ما تريد مني!

ماجد أنت تعلمين أنني لا أستطيع.. إنني ضعيف لا أجرؤ علـى القتـل بغيـر إيمان.. لماذا تملكين هذه الفتنة الشيطانية، هذا المزيج من الجمال والقسوة والتقلب؟ هل تدركين كيف أشعر؟ أود لو أحطم ضلوعك بين ذراعي شئت أم أبيت ولكني لا أجرؤ..

إن حبي يحرسك من نفسي..

أمل إن من يريد اقتناص المجد لا يسمح لنفسه أن تقتنص قلبه امرأة.

ماجد أعلم هذا، ولكن هل لي بمقاومة قوى الحياة؟ إنها طاغية جبارة لا نخلـص من قهرها إلا بالإستسلام لها..

أمل إذن تريدني لترتاح من غرامي..

ماجد وأنت لا تريدينني لترضي غرورك دوماً ببقاء هذا الأوار محتـدماً.. هـل ترين بأنك أنت المخادعة الشريرة لم تكذبين؟ أنـت تحبيننـي ولكنـك لا تريدين لهذا الحب أن يدوم بنفقاته من المغامرة معي في مستقبلي الغامض، تريدين أثمن الأشياء بأبخس الأثمان.. لا.. لن يكون هذا وأقسم ان خذلتني لأكرهك وأحتقرك إلى الأبد وليأتين يوم تسعين فيه ورائي وتنـاديني فـلا أجيب نداك.

أمل أنت تخدع نفسك.. انني لا أبالي بك!

ماجد بل تبالي وتبالي! أنظري في عيني هل تـستطيعين الـصمود؟ إن عينيك تفضحانك و تنمان عنك.. إن فيهما غرائز الحياة قوية عارمة عندما تنظران إلي.. قولي إن روحك لا تستأنس بحنـان عينـي، وأن قلبـك لا يرتجف بلذة راقصة موجعة اذ يصده نفاقك عن الطيران! إننـي مطمـئن، فوداعاً الآن، أنت لي بالرغم عنك وبالرغم من كذب لسانك.

أمل أنت مجنون.

ماجد (ضاحكاً) أعلم هذا فانتظري هذا المجنون (يطرق الباب خلفه).

أمل (لنفسها) ساحر، فاتن، خلاب كيف يمكن لنظرة أن ترتفع بـي إلـى قمـة مشاعر لذيذة غامضة؟ إنها طويلة نافذة أواه! كيف لو يحطم ضـلوعي؟ لا يبلغ كلام حسان مني هذا المبلغ. إنه لا يحبني بمثل هذا اللهيب! إن حبـه هادئ ناضج صامت.. حنانيك يا رب! من أحب؟ أيهما أفضل؟ ماجـد؟ إن هذا النوع من الرجال متقلب أثر لا تستطيع المرأة ترويضه علـى حـب البيت والأطفال، ومستقبله قلق خطر. إن هذا الرجل يخيفني، إنـه يـصلح للأزمات ولا يصلح لحياة هادئة مستقرة، يخيفني يقلب لي القيم، فحين أنظر إلى أعماقي لا أرى إلا فوضى كأثاث منزل معد للنقل.. أين مني حـسان

الكامل الرجولة في اتزانه ووقاره، وقلبه المتفجر بالحب والخير. إن المرأة معه تشعر أنها تسير على الأرض لا في الهواء.. وبالاختصار إن الحبيبة في نفسي تريد ماجد والأم تريد حسان. قوتان رهيبتان فلمـن الانتـصار؟ ياللحب ما أعظم سحره!

(صدى صوت ماجد) إنه طاغية جبار لا نخلص من قهره إلا بالاستـسلام له.

أمل تباً لك يا ماجد.. لن أتركك تخلص من قهـره سـأعذبك حتـى يـضنيك العذاب.. رباه ما هذه النفس الرهيبة! أنها تتعارض تماماً مع مبـادئي. لا يليق هذا بي إنه أنانية. هل يجب أن يخضع الحب للأمومة في نفسي؟ لست أدري لعل هذا أفضل في الإنتخاب.. فالحب وسيلة والأمومة غاية.

خادمة صغيرة (باضطراب) سيدتي! سيدتي!

أمل (بغضب) زهراء تعالي هنا لقد لمحتك تسترقين السمع كم مرة عنفتك على هذه العادة السيئة! هل يجب أن أعاملك بشدة كي تكفي عنها؟.

الخامة (تبكي) (متلعثمة) كلا يا سيدتي إنني لا أفهم.

أمل أعلم أنك لا تفهمين شيئاً فهذا حوار يكد أذهان العقلاء.

الخادمة سيدتي أرجوك لا تتكلمي بها مرة أخرى.. لقد ذكرت هذه المرة رقم تلفون السيد حسان.

أمل ماذا تقولين؟

الخادمة أخبرت السيد حسان. طلبت إليه أن يأتي حالاً لأن السيد ماجد يريد أن يقتل سيدتي!

أمل (بهياج عنيف) هل فعلت أيتها البلهاء من أمرك؟ كيف تقـومين بمـا لـم تؤمري به؟

الخادمة (تنتحب بإعوال) لقد رأيت بيده المسدس .

أمل أيتها المجنونة كان يريني إياه.. هذا ما يأتي من استراق الـسمع والنظـر أغربي عن وجهي.

الخادمة سيدتي إنهم أتوا.. إنهم حول المنزل

أمل من؟

الخادمة سيدي حسان ورجال البوليس!

* * *